الحَدِيثُ التَّاسِعُ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ صَخْرٍ يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ» [رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ][1].

هَذَا الحَدِيثُ يَرْسُمُ طَرِيقًا وَاضِحًا للمُسْلِمِ يَسِيرُ عَلَيْهِ، وَسَبَبُ الحَدِيثِ كَمَا جَاءَ فِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا**»، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الحَاضِرِينَ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكُلَّ عَامٍ؟ فَسَكَتَ عَنْهُ الرَّسُولُ ﷺ، ثُمَّ أَعَادَ ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا**»، فَقَامَ الرَّجُلُ وَأَعَادَ السُّؤَالَ مَرَّةً ثَالِثَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ**» يَعْنِي: كُلَّ سَنَةٍ «**وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ**»؛ لَأَنَّ الحَجَّ يَحْتَاجُ إِلَى سَفَرٍ، وَيَحْتَاجُ إِلَى تَكَالِيفَ، وَيَحْتَاجُ إِلَى قُوةٍ بَدَنِيَّةٍ، فَلِذَلِكَ لَمْ يُوجِبْهُ اللهُ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً فِي العُمْرِ.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ**» يَعْنِي: لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ لَمْ تُؤْمَرُوا بِهَا، مَا أُمِرْتُم بِهِ فَافْعَلُوهُ، وَمَا نُهِيتُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، أَمَّا أَنْ تَسْأَلُوا عَمَّا لَمْ تُؤْمَرُوا بِهِ فَهَذَا لَيْسَ مِنْ صَالِحِكُمْ، «**مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**» وَهَذَا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَنْ يَأْتِيَ الإِنْسَانُ مِنَ الأَوَامِرِ بِمَا يَسْتَطِيعُ، وَالذِي لَا يَسْتَطِيعُهُ يَسْقُطُ عَنْهُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).

[التغابن: ١٦]، وَقَالَ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦]، فَمَا اسْتَطَاعَهُ الإِنْسَانُ مِنَ الوَاجِبَاتِ الدِّينِيَّةِ فَإِنَّهُ يَفْعَلُهُ، وَمَا لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِنَّهُ يَسْقُطُ عَنْهُ حَتَّى يَزُولَ عُذْرُهُ، وَهَذَا مِنْ يُسْرِ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ، وَرَفْعِهَا للحَرَجِ عَنِ النَّاسِ.

قَالَ: «**وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ**» أَمَّا المنْهِيُّ عَنْهُ فَإِنَّهُ يُجْتَنَبُ كُلُّهُ؛ لِأَنَّ التَّرْكَ أَسْهَلُ مِنَ الفِعْلِ، الفِعْلُ تَأْتِي مِنْهُ مَا تَسْتَطِيعُ، أَمَّا التَّرْكُ فَهَذَا لَا أَحَدَ يَعْجَزُ عَنْهُ؛ لِأَنَّ التَّرْكَ أَسْهَلُ، وَلِهَذَا قَالَ: «**مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ**»، وَلَمْ يَقُلْ: اجْتَنِبُوا مَا اسْتَطَعْتُمْ، بَلْ قَالَ: «**فَاجْتَنِبُوهُ**» كُلُّ وَاحِدٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتْرُكَ المنهِيَّ، اللهُمَّ إِلَّا فِي حَالَةِ الضَّرُورَةِ، إِذَا اضْطُرَّ إِلَى المنْهِيِّ فَإِنَّهُ يَفْعَلُهُ مِنْ بَابِ الرُّخْصَةِ؛ مِثْلَ أَنْ يُضْطَرَّ إِلَى أَكْلِ الميْتَةِ، فَإِنَّهُ يَتَنَاوَلُهُ لِيُبْقِي عَلَى حَيَاتِهِ.

ثُمَّ إِنَّهُ حَذَّرَ مِنْ كَثْرَةِ الأَسْئِلَةِ التِي لَا يحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي أُمُورِ الدِّينِ، وَضَرَبَ لَذَلِكَ مَثَلاً بِالأُمَمِ السَّابِقَةِ، فَإِنَّهُ إِذَا كَثُرَتْ الأَسْئِلَةُ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ يحْصُلُ الحَرَجُ وَالضِّيقُ عَلَى النَّاسِ، وَبِالتَّالِي هَذَا الذِي يُكْثِرُ السُّؤَالَ يَتْرُكُ الطَّاعَةَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ﴾ [المَائِدَة: ١٠١، ١٠٢]، فَالتَّكَلُّفُ فِي الأَسْئِلَةِ مَدْعَاةٌ إِلَى التَّرْكِ وَالتَّنَطُّعِ، مَا أُمِرْتَ بِهِ فَأْتِ مِنْهُ مَا تَسْتَطِيعُ، وَمَا نُهِيتَ عَنْهُ فَاجْتَنِبْهُ، وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا الاتِّبَاعُ فَقَطْ، وَلَا تَأْتِ بِأَشْيَاءَ مِنْ عِنْدِكَ، أَوْ تَفْتَرِضْ أَشْيَاءَ، هَذَا مِنَ التَّقْدِيمِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ

وَرَسُولِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحُجُرَاتِ: ١]، لَا تَقُلْ: لِمَاذَا لَمْ يُوجِبِ اللهُ كَذَا، لِمَاذَا لَمْ يُحَرِّمِ اللهُ كَذَا؟ لَا تَسْأَلْ مِثْلَ هَذَا السُّؤَالِ.

* * *